دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

المواهب الكنسية

أو الروح القدس في حياة الكنيسة

الأب متى المسكين

كتاب: المواهب الكنسية أو الروح القدس في حياة الكنيسة.
المؤلف: الأب متى المسكين.
من الطبعة الأولى إلى الثالثة: ١٩٦٩- ١٩٨١
الطبعة الرابعة: ٢٠١٦
الناشر: دار مجلة مرقس
ص ب ٣١ شبرا القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون
ص ب ٢٧٨٠ القاهرة
جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من مكتبة الدير

أو من خلال موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

المحتويات

مقدمة ٥

الفصل الأول: المواهب ٩

- مواهب ملء ومواهب خدمة: ١١

الفصل الثاني: مواهب الكلام ١٤

- التدرُّج الإلهامي في هذه المواهب الثلاث: ١٤
- مواهب مترتِّبة على مواهب: المترجمون والحُكَّام: ٢٢

الفصل الثالث: مواهب التعليم ٢٦

- درجات المعلِّمين: ٢٩

✦ الدرجة الأُولى: الرسل: ٢٩
✦ الدرجة الثانية: الأنبياء: ٢٩
✦ الدرجة الثالثة: المبشِّرون: ٣١
✦ الدرجة الرابعة: المعلِّمون: ٣٢

الفصل الرابع: المواهب العملية ٣٤

- موهبة القيادة: ٣٥
- تداخل موهبة التدبير في موهبة التعليم: ٤٤
- رعاة مدبِّرون ٤٥
- رعاة معلِّمون ٤٥
- انتقال اختصاصات الرسل في الحِلِّ والربط، إلى الأسقف بوضع اليد: ٤٨

مُقدِّمة

الروح القدس بالنسبة للكنيسة هو روحها المحيي باعتبار الكنيسة جسد المسيح. ولذلك، فنجاح الكنيسة ونشاطها يتوقَّفان على مقدار توافقها مع الروح القدس بصورة أساسية ومطلقة. فإن كان هناك تمجيد لله داخل الكنيسة، وإن كان هناك حرارة في العبادة، وحلاوة في التسبيح، وشجاعة للشهادة، ونصرة فوق المظالم والمصاعب، فهذا كله يعتمد بالدرجة الأُولى على مقدار انسجام الكنيسة مع الروح القدس.

ولكن انسجام الخدمة داخل الكنيسة وتوافقها مع الروح القدس ليس هو مجرَّد شعور أو مجرَّد افتراض ليس له دلالة، أو هو مجرَّد عظات ومحاضرات؛ بل هو في الحقيقة عمل خطير للغاية، كانبثاق النور ينتشر ويؤثِّر ويضبط ويمتد إلى ما لا نهاية.

فانسجام الكنيسة مع الروح القدس يشبه اقتراب كتلة حديد عادية من مجال مغناطيسي قوي، فبمجرَّد دخولها تحت تأثيره تصير جزءًا منه منسجمة معه وتصبح لها نفس صفاته.

ولعل من أروع التعبيرات التي جاءت في الكتاب المقدَّس عن كيفية انسجام الكنيسة مع الروح القدس ودلالة ذلك الانسجام أو نتائجه، ما قاله بولس الرسول مُشبِّهاً نفسه بكنيسة حُبلى بجنين لم يتشكَّل بعد، وبالخدمة والصلاة المتواترة وبفعل روحي سرائري يبدأ هذا الجنين يتغذَّى ويتشكَّل حتى يأخذ صورة أُمه أي الكنيسة، أي جسد المسيح: «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً (من جديد أو مرَّة أخرى) إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم.» (غل ٤: ١٩)

هذا معناه أن المؤمنين في الكنيسة يتشكَّلون قليلاً قليلاً بواسطة الخدمة المنسجمة مع الروح القدس حتى يصير لهم شكل المسيح.

فصفات المسيح السريَّة تصير - بواسطة الخدمة الناجحة - منظورة في المؤمنين وفعَّالة.

هنا، عمل المسيح في الكنيسة شيء، وعمل الروح القدس شيء آخر.

فالمسيح قائم فينا وفي الكنيسة إنما بصورة سريَّة غير منظورة وغير مُعلنة، كالجسد السرِّي الذي نأكله على المذبح دون أن يكون له أي مظهر جسدي محقَّق. أما الروح القدس فيكون عمله فينا هو إعلان المسيح والشهادة له بكافة الطرق المنظورة وغير المنظورة. لذلك فبمجرَّد أن يبدأ الروح القدس عمله فينا، حينئذ يبدأ المسيح ويكشف المستتر فينا؛ وهذا ما أعلنه المسيح عن طبيعة الروح: «ذاك يمجِّدني لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم (يعلنه فيكم ولكم).» (يو ١٦: ١٤)

ويُلاحَظ هنا أن المسيح بهذا الكلام يكشف لنا عن ناحية من نواحي طبيعته الخاصة المتضعة العجيبة في أنه لا يمجِّد نفسه قط، فبالرغم من أنه يكون قائماً معنا وفينا بل ومتحداً بنا، إلا أن وجوده يظل مستتراً إلى أن تنفتح حياتنا على الروح القدس بالعبادة الحارة والصلاة، وحينئذ يبدأ الروح القدس يعلن عن المسيح الساكن فينا ويمجِّده بأن يُظهر صفاته لنا أولاً ثم فينا ثانياً!!

وهكذا أصبحت الكنيسة مؤتمنة على إعلان صفات المسيح سواء في رعاتها أو مؤمنيها بالصفات الطيبة أو المواهب، وبذلك يصبح عمل الكنيسة تمجيداً متواصلاً لشخص الرب يسوع بواسطة الروح القدس.

أما إذا عجز الروح القدس عن إعلان المسيح الذي فينا والذي اتحد بنا بواسطة المعمودية والأسرار ووسائط النعمة الأخرى المنظورة وغير المنظورة،

فهذا يكون معناه أننا أصبحنا غير أمناء على شخص الرب وغير أكفاء أن نكون شهوداً له، بل وغير متصالحين لا مع المسيح ولا مع الروح القدس نفسه! «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له.» (رو ٨: ٩)

وهكذا أصبح قانون الحياة مع المسيح وخدمته والشهادة له يتوقَّفان بصورة أساسية على مقدار قبولنا لشخص الروح القدس وانسجامنا مع مشيئته، فيكون أنه بقدر ما نقبل الروح القدس فينا ونستجيب لمشيئته بقدر ما ننطلق في الحال نشهد للمسيح ونحبه ونعلن صفاته للعالم!

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى سر اتضاع الثالوث كله، فالآب يقدِّم الابن ليشهد الابن للآب ويمجِّده. والابن يقدِّم الروح القدس ليشهد الروح للابن ويمجِّده، والروح القدس لا يشهد لنفسه ولا يمجِّد نفسه بل يكتفي بأن يشهد للابن ويمجِّده!! ولكن بمجرَّد أن تُعلَن فينا طاعة المسيح بالصفات الطيبة والمواهب، ينكشف الآب ويتكشَّف الروح القدس. وهكذا يتحوَّل اتضاع الثالوث المتناهي إلى مجد فائق. لذلك أصبح الاتضاع بالنسبة للكنيسة والمؤمنين هو السر الأعظم الذي يجد فيه الروح القدس مدخلاً لإعلان الثالوث الكلِّي الكرامة، والنافذة التي يسكب من خلالها على الكنيسة كافة المواهب التي تشهد لمجد الله.

الفصل الأول

المواهب Χαρίσματα

حينما أوصى الرب تلاميذه أن لا يبرحوا من أورشليم حتى يُلبَسوا قوَّة من الأعالي (لو ٢٤: ٤٩، أع ١: ٤)، كان هذا بمثابة إشارة واضحة إلى ضرورة المواهب الكنسية، بصورة حتمية، كقوَّة تختص بالشهادة للمسيح والدعوة إلى الملكوت.

حينما كان المسيح مع تلاميذه كان يمنحهم قوَّة للخدمة والشهادة، وكان يدبِّر حياتهم بنفسه؛ ولكن لما تحتَّم أن يصعد إلى السماء أوصاهم أن لا يتحرَّكوا من أورشليم إلى أن يُرسِل لهم "مُعزِّياً" آخر يمنحهم هذه القوَّة ويحل محله في التدبير.

من هذا يتضح ضمناً أن الكنيسة يستحيل عليها الشهادة للمسيح أو تدبير أمورها إلا بحضور الروح القدس وعمل قوَّته، لذلك يُقال إن الحُكْمَ في الكنيسة "ثيئوقراطي" أي إلهي"؛ أي أن الله هو الذي يدبِّرها وليس إنسان.

ومن وقت صعود المسيح إلى وقت حلول الروح القدس، كانت الكنيسة بدون مدبِّر، لذلك تجمَّد موقف التلاميذ بصورة قاطعة، كأمر إلهي. إذ ظل التلاميذ لمدَّة عشرة أيام– حسب أمر المسيح لهم " وها أنا أُرسِلُ إِلَيكُم موعِدِ أبي. فأقيموا في مدينةِ أورشليم إلى أنْ تُلبَسوا قوةً مِن الأعالي." (لو ٢٤: ٤٩) في انتظار حلول الروح القدس، حتى ينالوا قدرة على الحركة.

بهذا يظهر يوم الخمسين كبداية فعلية لحياة الكنيسة، الذي فيه نالت الكنيسة قوَّة وإذناً من الله بالحركة؛ هذه الحركة التي غطَّت كل الأرض ولم تكُفّ إلى الآن، ولن تكفّ، حتى يأتي المسيح.

وبهذا أيضاً يظهر الروح القدس في الكنيسة كمصدر للحركة، والكلام، والشهادة، والتعليم، والدفاع، والاستشهاد.

ولكن يلزم هنا أن ننبِّه إلى أن الروح القدس لا يعمل كمتسلِّط فوق إرادة الإنسان، بل كواهب قوَّة جديدة للإرادة، يجعلها تعمل الصلاح بحريتها؛ الأمر الذي كان مستحيلاً قبلاً أن يعمله الإنسان من ذاته وحده، «وحيث روح الرب هناك حريَّة.» (٢كو ٣: ١٧)

في يوم الخمسين ظهر الروح القدس في الطبيعة البشرية كمُحوِّل عميق وهائل، لا يمكن أن تحدَّه أعظم الألفاظ التي تُستخدم في التدليل على التحولات الطبيعية الأخرى، فهو أكثر من تغيير وأعمق من تحوُّل وأفضل من تجديد؛ إنه بلغة المسيح نفسه، ولادة جديدة ثانية (يو ٣: ٥)، أو بلغة الكتاب المقدَّس خِلْقَة جديدة (٢كو ٥: ١٧) يدخل فيها الروح القدس كعامل صميمي.

هنا الحرية التي يهبها الروح القدس للإنسان لا تجعله يفعل كل ما يريد وحسب، كمدلول الحرية في لغة الفلسفة؛ بل تجعل ما يريده الإنسان هو بعينه ما يريده الله ! أي أن الروح القدس يفتح الطبيعة البشرية على الله، وبهذا يصير الإنسان في علاقة أصيلة بالله، ويدخل معه في رباط حيوي وميراث: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله.» (رو ٨: ١٤)

الروح القدس بهذه الكيفية، لا يظل غريباً على الطبيعة البشرية، كشيء آخر منفصل عنها، ولكنه يصبح بحد ذاته اتصالاً "إلهيّاً مباشراً" في شكل خلقة روحانية جديدة على صورة المسيح ومثاله!! وبذلك يرفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها، حتى تبلغ إلى "حياة جديدة" إلهية، دون أن تفقد معنى حريتها وإرادتها البشرية!

لذلك لا يستطيع الإنسان الحاصل على الروح القدس، أن يميِّز وجوده بإحساس طبيعي، لأن الروح القدس لا يبقى في الإنسان منفصلاً عنه، فنحن لا ندرك الروح القدس إلا بفِعْله. كما أن المسيح أيضاً لم يكن يُدرَك

لاهوته بالإحساس الطبيعي، وإنما يُدرَك بالأعمال: «فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال» (يو ١٠: ٣٨)، وذلك بسبب "الإخلاء".

مواهب ملء ومواهب خدمة:

الطبيعة البشرية قد ثَبَتَ قطعاً في كل الأجيال، من آدم حتى يوم الخمسين، أنها عاجزة عن بلوغ الحياة الجديدة، وغير قادرة على الإذعان لصوت الله ووصاياه، وقبول الإيمان بيسوع المسيح؛ لذلك كان من المحتَّم سكب مواهب جديدة وروحانية، ترفع من قدرة الإنسان باستمرار، لبلوغ الملء اللازم لميراث الحياة الأبدية.

ولكن لكي يُقبِل الناس على الإيمان بالمسيح، الذي هو أصل وسبب انسكاب الروح القدس ونوال كافة مواهب الملء، لزم منذ البدء سكب مواهب أخرى فائقة، يستطيع بواسطتها المبشِّرون أن يجذبوا الناس إلى الإيمان بالمسيح، وأن يعلِّموهم ويقنعوهم.

• فحرارة الإيمان بالمسيح والثقة المطلقة فيه، والمحبة الرحيمة، والوحدة الفعلية بين المؤمنين، والقدرة على الصوم والصلاة، والمواظبة على كسر الخبز (سر التناول)، والبساطة مع التجرُّد، والاتضاع، وطاعة الكلمة بثقة، وحرارة العبادة والتقوى؛ كل هذه كانت تمثِّل مواهب الملء، التي انسكبت بغِنًى على الكنيسة بعمل النعمة في القلب. وكانت هذه المواهب هي الأساس الذي قامت عليه الكنيسة ووحدتها وقوَّتها وقداستها.

• ولكن كانت هناك أيضاً مفاعيل أخرى للنعمة، ظهرت ضرورتها منذ البدء بصورة ممتازة لبعض الأخصَّاء المتقدِّمين في النعمة، وتدور كلها حول الشهادة للمسيح وتعليم المؤمنين وبناء النفس، وكانت هذه المفاعيل تظهر علانية في المختارين بصورة فائقة للطبيعة: «شاهداً الله معهم، بآيات، وعجائب،

وقوّات متنوعة، ومواهب الروح القدس حسب إرادته» (عب ٢: ٤)

وهذه المفاعيل، تشمل كافة المواهب الفائقة التي للشهادة، وتنقسم إلى ثلاثة أصول:

الأول: ويُعرَف بلغة الإنجيل بالقُوَّات **δυνάμεις** وهي الأعمال ذات القوَّة والجبروت، مثل إخراج الشيَّاطين.

الثاني: ويُعرَف بلغة الإنجيل بالآيات **σημεῖα** وهي الأعمال الخارقة للعادة، ذات المعنى والمغزى الخصوصي، كتحويل الماء خمراً (يو ٢)، وتفتيح عينيِّ الأَعْمَى (يو ٩).

الثالث: ويُعرَف بلغة الإنجيل بالمعجزات **τέρατα** وهي الأعمال المدهشة والعجيبة، كشفاء الأعرج (يو ٥). «إن علامات الرسول صُنِعَت بينكم في كل صبر **بآيات وعجائب وقوَّات**.» (٢كو ١٢: ١٢)

وهذه المواهب والأعمال الفائقة، لا أصل لها في الطبيعة البشرية، ولا علاقة لها إطلاقاً بقوانين الطبيعة. وهي لا تعتمد على ذكاء الإنسان، ولا على قدراته الشخصية أو العصبية، ولا على صلاحه أو برِّه الذاتي، إنما هي مواهب تُعبِّر عن نعمة الله وقوَّته ورحمته وصلاحه، يسكبها حسب مسرَّته على مَنْ يشاء مُعلناً بها على العنصر الإلهي المقتدر في الدعوة إلى ملكوت الله، بالإيمان بالمسيح: «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميَّان تعجَّبوا، فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع. ولكن إذ نظروا الإنسان الذي شُفيَ واقفاً معهما، لم يكن لهم شيء يناقضون به.» (أع ٤: ١٣، ١٤)

أما من حيث استخدام الله للطبيعة البشرية للإعلان عن هذه المواهب،

فنجد أن الروح القدس كان دائماً يشهد بواسطة الإنسان (القديسين)، عن طريق إحدى وسيلتين: إما القوّة وإما الكلمة.

واستخدام الروح القدس لقوّة الإنسان (القديسين)، تظهر في خدمة المرضى والضعفاء، ومواهب الشفاء **χαρίσματα ἰαμάτων** أما استخدام الروح القدس لكلام القديسين، فيظهر في مواهب كثيرة، مثل التكلُّم باللغات، والنبوَّة، والتعليم.

✦ + «إن كان **يتكلَّم** أحد فكأقوال الله. وإن كان يخدم أحد فكأنه من **قوَّة** يمنحها الله...» (١بط ٤: ١١)

وسوف نقتصر في هذا المقال على **مواهب النعمة التي للشهادة، عن طريق الكلمة والتعليم.**

الفصل الثاني

مواهب الكلام

استخدام النعمة لعقل الإنسان ولسانه للنطق بالكلمة الإلهية، يحتاج إلى تهيُّؤ وقتي في طبيعة العقل، لاستقبال فعل الإلهام والاستنارة المباشرة، حتى يتسنَّى للإنسان أن ينطق بالروح بما يريده الله في كل مرَّة. هذا التهيُّؤ اللازم لاستقبال فعل الإلهام كل مرَّة، لا يحتاج إلا إلى استعداد داخلي قلبي «مستعدٌ قلبي يا الله مستعدٌ قلبي» (مز ٥٧: ٧). ولكن في كل مرَّة يكون الدَّفْق الإلهي متميِّزاً عن كل مرَّة أخرى: «حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال...» (أع ٤: ٨)

ومواهب الكلام تنقسم، من حيث تدرُّجها في التشبُّع الإلهامي، إلى ثلاث درجات:

الدرجة الأُولى: موهبة الألسن **γλὼσσαις λαλία**

الدرجة الثانية: موهبة النبوَّة **προφητεία**

الدرجة الثالثة: موهبة التعليم **διδαακαλία**

التدرُّج الإلهامي في هذه المواهب الثلاث:

في موهبة التعليم يكون الفهم والذكاء وحرية الشرح والتعبير وكافة الحواس الفكرية، في كامل قوَّتها أثناء الإلهام. لذلك نجد أن الذين لهم استعداد طبيعي للمعرفة بواسطة معرفتهم السابقة للقراءة وقدرتهم على

الاستيعاب والحفظ، نجدهم قد استفادوا نوعاً ما من "موهبة التعليم"، وذلك بأنهم استطاعوا أن يفحصوا ويقارنوا الروحيات بالروحيات - على حد قول بولس الرسول (١كو ٢: ١٣)، وبذلك ازدادت قدرتهم على كشف الأسرار فصاروا مُعلِّمين روحيين διδάσκαλοι؛ وهذا نجده واضحاً في سيرة بولس الرسول، حيث الرقوق لم تكن تفارقه حتى في أسفاره. لذلك نجده ينصح تيموثاوس أيضاً أن يُضرم الموهبة التي فيه، التي أخذها مع وضع اليد (١تي ٤: ١٤)، مشيراً في موضع آخر إلى أن معرفته السابقة بالكتب المقدَّسة ذات قيمة من حيث إعطائه فرصةً أكثر للخلاص «وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدَّسة القادرة أن تُحكِّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع.» (٢تي ٣: ١٥)

أما الأنبياء فهم على كل حال ، أقلُّ من المعلِّمين في الاستفادة من التعليم والقراءة، إذ أن الإلهام أو الوحي الإلهي يباغتهم، فيرتفع عقلهم فجأة ليدرك ما لم يخطر لهم على فكر من قبل، وما لا يمكن أن يتحصَّل عليه إنسان لا بالتعليم ولا بالقراءة ولا بالذكاء.

والرؤى التي يطَّلع عليها أصحاب هذه الموهبة - أي موهبة النبوَّة - تحتاج منهم أحياناً إلى جهد كثير لتوضيحها، مثل سفر الرؤيا؛ أو قد لا يتسنَّى لهم إطلاقاً تفسيرها وشرحها، مثل بولس الرسول الذي «اختُطف إلى الفردوس وسمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها.» (٢كو ١٢: ٤)

وموهبة النبوَّة في العهد الجديد لا تقف عند كشف الزمان الآتي: «يُخبركم بأمور آتية» (يو ١٦: ١٣)، ولكنها تمتد بالأكثر إلى كشف أسرار الله، وكشف أسرار النفوس ومعرفة الضمائر، «لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.» (١كو ٢: ١٠)

وفي الواقع، لو دققنا لوجدنا أن سفر الرؤيا يحوي معنى النبوَّة وقوَّتها

وعملها في العهد الجديد، ككشف كامل ورؤيا ἀποκάλυψις: سواء كشف الزمن الآتي، أو كشف أعمال الكنائس السبع، أو كشف ضمائر الأساقفة (المُلقَّبين في سفر الرؤيا بالملائكة) المسئولين عن البشارة في الكنائس، أو كشف أسرار الله المخفاة من جهة صفاته وأعماله.

ولكن – على وجه العموم – الصفة الكنسية السائدة للنبي في العهد الجديد، هي موهبة **كشف النفس وتبكيت الضمائر**.

أما التمييز بين النبي وهو في حالة الإلهام، وبين المعلم وهو في حالة الإلهام أيضاً، فيقتصر على أن النبي تكون حواسه الفكرية مربوطة بالرؤيا الموضوعية، وسائدة فوق قوّة الفهم. فهو بالرغم من كونه يعي جدّاً ما يقوله ويستطيع أن يجاوب سائليه، إلا أنه يكون محدوداً بما يراه ويحسُّه.

في حين أن المعلِّم تكون قوّة وحرية الفهم عنده سائدة فوق كل الحواس الأخرى حتى وهو في كامل إلهامه.

غير أنه لم توجد موهبتا النُبوَّة والتعليم منفصلتين تماماً في العهد الجديد، لأن الشخص الذي يملك الواحدة يؤهَّل دائماً للدخول في الأخرى. فالمعلِّم الموهوب في المسيحية διδάσκαλος، نجده في لحظة من لحظات استنارته يدخل في إلهام النبوَّة فيصير نبيّاً προφήτης. وكذلك النبي، إذ يحدث أنه وهو تحت تأثير الإلهام ينطق بتعليم، وغالباً ما يكون موبِّخاً شديد الوطأة، إذ يكون في فمه إعلان وتحذير معاً، أو قد يكون للتعزية والطمأنينة أيضاً: «عزُّوا عزُّوا شعبي.» (إش ٤٠: ١)

وموهبتا التعليم والنبوَّة، احتلتا معاً في العصر الرسولي مكانة سامية جدّاً، وكانتا ذات تأثير هائل في انتشار الإنجيل والإيمان به.

ومن أمثلة الأنبياء والمعلِّمين في العصر الرسولي: «وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء **ومعلِّمون** برنابا، وسمعان الذي يُدعَى نِيْجَر، ولوكيوس

القيرواني، ومَنايِنُ والذي تربَّى مع هيرودس...، وشاول (الذي صار فيما بعد رسولاً أيضاً.» (أع ١٣: ١)

وكانت النبوَّة تمُهِّد الطريق دائماً للمعلِّمين، فكانت النعمة تستخدم الأنبياء وتُلهب موهبتهم لكشف النفوس وتبكيت الضمائر، وتوبيخ الأعمال والسيرة الرديئة؛ وبهذا يخُفضون كل كبرياء الوثنيين والمعاندين من الفلاسفة، وكل عُلُوٍّ يرتفع ضد الإيمان (٢كو ١٠: ٥)، وحينئذ يمُهِّدون في قَفْر القلوب سبيلاً للمسيح الآتي، بتلقين التعليم الصحيح بواسطة المعلِّمين.

وبينما في موهبتي التعليم والنبوَّة يكون العقل مع كل الحواس الفكرية في كامل وعيها وانفتاحها لجمهور السامعين، بحيث يكون النبي أو المعلِّم قادراً، حتى وهو في أوج إلهاماته، على تبادل الشعور والحديث والفهم مع السامعين، نجد أنه في موهبة التكلُّم بالألسن يكون العقل مع كافة الحواس الفكرية، مشغولاً في الحديث مع الله فقط.

وذلك يرجع إلى أن إلهام المتكلِّم بالألسن الجديدة، يطغي على قدرة الفهم ويُضعف من الإحساس الفكري إلى درجة ينقطع فيها الاتصال العقلي بين المتكلِّم والسامعين.

لذلك فالذي يتكلَّم بلسان لا يكون كلامه بصورة تعليم أو وعظ أو نبوَّة. لذلك لا يُحسب المتكلِّم باللسان مُعلِّماً **διδάσκαλος**، وكذلك لا يُحسب مُعزيّاً **παράκλητος**، كنبي، لأن موهبته تخرج عن حدود التعليم والبناء والإيمان الذي عن طريق المعرفة، لتدخل في حدود مفهوم المعجزة أو الآية وحسب: «**إذاً، الألسنة آية لا للمؤمنين بل لغير المؤمنين.**» (١كو ١٤: ٢٢)

فالذي يتكلَّم بلسان يكون تحت إلهام شخصي، فيكون متصلاً بروحه مع الله، ناطقاً بلسانه بما يحُسه بروحه، ولكن بلغة أخرى غير لغته؛ لذلك يكون الذهن غير واعٍ تماماً بما ينطقه ولا يستطيع أن يتحكَّم فيه: «لأنه إن كنت

أُصلِّي بلسانٍ فروحي تُصلِّي **وأما ذهني فهو بلا ثمر.**» (١كو ١٤: ١٤)

ولهذا السبب يكون الشخص المتكلِّم بلسان مشغولاً عن الناس، منحصراً بروحه وعقله في الله، لذلك يبدو للآخرين كأنه في ذهول؛ وحتى كلامه لا يكون بدقَّة لفظية أو يقظة كاملة. وهذا هو السبب الذي جعل الناس يوم الخمسين يعتبرون أن التلاميذ كانوا في حالة سُكْر شديد «امتلأوا سُلافة» (أع ٢: ١٣)، لأن الناس رأوا أنه بالرغم من أن التلاميذ كانوا يتكلَّمون بلغاتهم التي يعرفونها، إلا أن الناس لاحظوا أن إحساس التلاميذ كان مبتعداً عن الناس، وكأنما كانوا لا يخاطبون الناس أصلاً، فلم يعتنِ الناس أن يصغوا إليهم: «لأن مَنْ يتكلَّم بلسان لا يُكلِّم الناس بل الله، لأن ليس أحد يسمع.» (١كو ١٤: ٢)

كل ذلك يشير إشارة قويَّة إلى أن موهبة التكلُّم بالألسن، كانت محدودة فعلاً في حدود المعجزة أو الآية **لغير المؤمنين**، كبرهان عملي لانسكاب الروح على الأمم أيضاً (أع ١٠: ٤٥)، أو «على كل بشر» (يؤ ٢: ٢٨) حسب نص نبوءة يوئيل النبي؛ فلم تكن هذه الموهبة لتعليم المؤمنين أو غير المؤمنين أصحاب هذه اللغات، وإنما كانت لمجرَّد إقناعهم أن الله قَبِلَ الأمم وفتح الباب لدخولهم في الإيمان؛ وبرهان ذلك نُطق التلاميذ الإعجازي بلغات الأمم.

لذلك نجد أن انطباع المؤمنين عند سماعهم التلاميذ يتكلَّمون أولاً بلغات الأمم كان هو الحيرة والتعجُّب: «وتحيَّروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلَّمون بلغته» (أع ٢: ٦). ثم جاء تحقيق الذين آمنوا من اليهود بعد ذلك، بسبب انسكاب هذه الموهبة بالذات على الأمم الداخلين في الإيمان، أن الله قد قَبِلَ الأمم بكل تأكيد: «فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً، لأنهم

كانوا يسمعونهم يتكلَّمون بألسنة ويعظِّمون الله.» (أع ١٠: ٤٥، ٤٦)

إذن، واضح أن موهبة التكلُّم بالألسن يوم الخمسين كانت آية تشير إلى أمرين:

الأول: دخول الأمم علناً في الإيمان.

وثانياً: بداية مسئولية التلاميذ لخدمة هذه الأمم، لأن انسكاب موهبة التكلُّم بلغة الأمم تَضَمَّن دعوةً إلهية صريحة للبشارة لهذه الأمم.

فموهبة التكلُّم بالألسن يوم الخمسين وما بعد ذلك، كانت ذات هدف إلهي واضحٍ، كآية لدخول الأمم وكدعوة صريحة للبشارة لهم. لذلك **فإن هذه الموهبة لا تفيد أن هذه الألسن كانت لغات غير مفهومة بل مفهومة تماماً**؛ لأن من نصوص الآيات، ومن واقع الهدف وملابسات الزمن الذي بدأت فيه هذه الموهبة، يتَّضح أنها شملت لغات حيَّة كان يتكلَّم بها الناس في خمس عشرة أمة تقريباً (أع ٢).

وقد ظلَّت هذه الموهبة في البدء، مرافقة لحلول الروح القدس عند العماد ووضع اليد، كبرهان لقبول هؤلاء المعمَّدين في الإيمان. وهذا يذكِّرنا بالنار التي كانت تنزل من السماء وتَلْتَهم الذبيحة في بداية عصر تقديم الذبائح كعلامة رضى إلهي وقبول، وكإلحاح مستمر من الروح القدس للانطلاق والشهادة للمسيح.

وقد ظلَّت هذه الموهبة مُلازمة للكنائس الجديدة بصورة شائعة وعامة بين المؤمنين في أيام بولس الرسول: «**ولما وضع بولس يديه عليهم، حلَّ الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلَّمون بلغات ويتنبَّأون**» (أع ١٩: ٦)، ففي كل كنيسة كان يظهر كثيرون من المتكلِّمين باللغات. ولكن لأن معظم الشعب في كل كنيسة كان لا يعرف إلا لغته فقط - أي عاميين - لذلك ظهرت الحاجة إلى مَنْ يُترجم ما ينطقه هؤلاء المتكلِّمين باللغات الأخرى:

«فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد، وكان الجميع يتكلَّمون بألسنة، فدخل عاميون أو غير مؤمنين، أفلا يقولون إنكم تهذون؟» (١كو ١٤: ٢٣). إذن، **فالحاجة إلى الترجمة تنشأ فقط عندما يكون السامعون عاميين أي ذوي لغات متنوعة.**

كما أننا نجد أن هناك محاولة يحاولها بولس الرسول، **لتحويل موهبة التكلُّم بلغات إلى موهبة الترجمة أيضاً، وذلك عن طريق المتكلِّم نفسه، حتى يتحاشى العثرة الناتجة من عدم فهم اللغة التي يتكلَّم بها:** «**لذلك مَنْ يتكلَّم بلسان فليُصلِّ لكي يُترجم**» (١كو ١٤: ١٣)، أي أن المتكلِّم يترجم ما يقوله هو نفسه؛ وذلك **حينما يستحضر ذهنه بالصلاة، ويتوسَّل لدى الروح القدس أن يهبه أيضاً، تفسيراً بلغته الوطنية لِما نطقه باللغة التي أُعطي أن يتكلَّم بها.**

وفي هذا المعنى تماماً يقول القديس بولس الرسول إنه يتكلَّم بلغات أكثر من جميعهم، مشيراً بذلك إلى قدرته الخاصة على التكلُّم بلغات حيَّة كثيرة، وقدرته على ترجمة كل لسان، حسب النعمة المعطاة له وحسب إتقانه الطبيعي لهذه اللغات: «أشكر إلهي إني أتكلَّم بألسنة أكثر من جميعكم» (١كو ١٤: ١٨). وهنا المضمون **يفيد لغات حيَّة مفهومة بكل تأكيد، فقد أوضح بولس الرسول قبل ذلك أن موهبة التكلُّم بألسنة لا قيمة لها على الإطلاق إن لم تكن هذه الألسنة لغات حيَّة يمكن فَهْمها:**

+ «**ربما تكون أنواع لغات هذا عددها في العالم وليس شيء منها بلا معنى.** فإن كنتُ لا أعرف قوَّة اللغة أكون عند المتكلِّم أعجميّاً والمتكلِّم أعجميّاً عندي، هكذا أنتم أيضاً إذ أنكم غيورون للمواهب الروحية، اطلبوا لأجل بنيان الكنيسة **أن تزدادوا**، لذلك مَنْ يتكلَّم بلسانٍ فليُصلِّ **لكي يُترجم.**» (١كو ١٤: ١٠ - ١٣).

وهنا كلمة «**تزدادون**» تفيد الازدياد في معرفة اللغة وشرحها لازدياد بنيان الكنيسة؛ **الأمر الذي توفر لدى كافة الناس بعد ذلك بالتعليم وتلقين اللغات، مما أدى إلى توقُّف هذه الموهبة.**

ولكننا، على وجه العموم، نجد أن القديس بولس الرسول يضع موهبة التكلُّم بألسنة **في مرتبة أقل من موهبة النبوَّة:** «مَنْ يتنبَّأ، أعظم ممن يتكلَّم بألسنة» (١كو ١٤: ٥)، كذلك يضعها أيضاً أقل من موهبة التعليم: «ولكن في كنيسة أريد أن أتكلَّم خمس كلمات بذهني لكي أُعلِّم آخرين أيضاً، أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان.» (١كو ١٤: ١٩)

وقد حصر بولس الرسول هذه الموهبة خارج محيط التعليم داخل الكنيسة، إذ اعتبرها أنها ليست لبناء الإيمان: «إذن الألسنة آية، لا للمؤمنين بل لغير المؤمنين» (١كو ١٤: ٢٢)

ولكن ظلَّ بولس الرسول محتفظاً بوضع التكلُّم بالألسن، كموهبة ذات قيمة روحية شخصية بالنسبة للفرد المتكلِّم، كعمل روحي أو تعزية روحية شخصية: «أُصلِّي بالروح ... أُرتِّل بالروح ... باركت بالروح» (١كو ١٤: ١٥، ١٦)، عالماً ذلك الرسول، الذي ارتفع إلى درجة الإعلانات والرؤى، أن التكلُّم بالألسن حالة ارتفاع بالروح القدس وإلهام يقبل فيها الإنسان أسرار الروح القدس ويتعزَّى: «مَنْ يتكلَّم بلسان لا يكلِّم الناس بل الله لأن ليس أحد يسمع ولكنه **بالروح يتكلَّم بأسرار.**» (١كو ١٤: ٢)

لذلك يعتبر بولس الرسول أن هذه الموهبة ذات منفعة شخصية ضمناً: «**مَنْ يتكلَّم بلسان يبني نفسه**» (١كو ١٤: ٤). لذلك لا ينكر منفعتها، بل بالحري يودُّ لو أن الكل يحوزون هذه النعمة: «**إني أريد أن جميعكم تتكلَّمون بألسنة، ولكن بالأولى أن تتنبَّأوا.**» (١كو ١٤: ٥)

ولكن بالرغم من ذلك كان بولس الرسول **يخشى جدّاً من إساءة استخدام هذه الموهبة داخل الكنيسة،** لأنها كانت قد بدأت تأخذ

اهتماماً ومكانة بين المؤمنين أكثر مما يجب، حتى صارت سبباً للغيرة والتفاخر والتشويش في الكنيسة، مما جعل الرسول يقلِّل من أهميتها ومنفعتها، ويحوِّل اهتمام المؤمنين إلى المواهب الأخرى «**وأيضاً أُريكم طريقاً أفضل.**» (١كو ١٢: ٣١)

ومجمل تقرير بولس الرسول عن هذه الموهبة، هو أنه إذا أحس أحد المؤمنين وهو داخل الكنيسة بحالة الإلهام والتكلُّم بالألسن، فعليه أن يُصلِّي ويسكب قلبه أمام الله بمفرده في الخفاء ويضبط نفسه، فهذا أَنْفَع له إذ يعود إلى بناء نفسه.

أما إذا أحسَّ بحاجة إلى التعبير عمَّا يتقبَّله من الله، وكان لديه رسالة حقيقية من الله للكنيسة، فليُصلِّ أولاً حتى يمكن أن يُترجمها هو بلغة السامعين: «**فالآن أيها الأخوة إن جئت إليكم متكلِّماً بألسنة، فماذا أنفعكم إن لم أكلِّمكم إما بإعلان أو بعلم أو بنبوَّة أو بتعليم؟ ... هكذا أنتم أيضاً إن لم تُعطوا باللسان كلاماً يُفهَم، فكيف يُعرَف ما تُكلِّمَ به؟**» (١كو ١٤: ٦، ٩)

فإذا تعذر عليه ذلك فليُترجمها آخر، أما إذا لم يوجد مَنْ يُترجم، **فليصمُت** في الكنيسة: «**ولكن إن لم يكن مترجم، فليصمت في الكنيسة، وليكلِّم نفسه والله.**» (١كو ١٤: ٢٨)

مواهب مترتِّبة على مواهب المترجمين والحُكَّام:

وقد ترتَّب على موهبة التكلُّم بألسنة، المنسكبة على الكنيسة، قيام موهبة الترجمة **ἑρμηνεία γλωσσῶν**، كنعمة خاصة وإلهام:

✦ «إن كان أحد يتكلَّم بلسان، فاثنين اثنين أو على الأكثر ثلاثة

ثلاثة، وبترتيبٍ وليُترجم واحد.» (١كو ١٤: ٢٧)

كما ترتَّب على موهبة النبوَّة، قيام **موهبة الحكم الروحي** **διακρίσεις πνευμάτων** أي التمييز والكشف لمعرفة الحق وحدوده:

+ «أما الأنبياء، فليتكلَّم اثنان أو ثلاثة، **وليحكم** الآخرون.» (١كو ١٤: ٢٩)

وبواسطة هاتين الموهبتين، أي الترجمة والحكم الروحي، صار لدى الكنيسة قدرة لتتحكم في موهبتي التكلَّم بالألسن والنبوَّة، وهنا تتضح يقظة الروح القدس واهتمامه بالكنيسة وتدبيرها وسدُّه للثغرات، بإقامة تسلسل في المواهب، وتدرُّج في المسئوليات، والمراقبة.

والملاحَظ **أن الروح القدس أقام مراقبين على موهبة التكلُّم بالألسن وموهبة النبوَّة، ولم يقم مراقباً على موهبة التعليم**، والسبب في ذلك أن المعلِّم يكون صاحياً يقظاً لنفسه ولِما يقوله، متوقد الذهن بالنعمة، فموهبة التعليم تنصب أساساً على زيادة الوعي العقلي. كما أن الإلهام الذي يدخله المعلِّم، يرفع من قدرته على ضبط كلماته وتوجيه تعليمه باستقامة، حسب قصد الروح تماماً. لذلك فمن غير المعقول أن يقيم الروح القدس رقيباً على المعلِّم، لأن الروح القدس نفسه يكون هو هذا الرقيب الذهني، خصوصاً وأن موهبة التعليم لا تتعدَّى حدود المعقول.

أما في موهبة النبوَّة فيكون العقل تحت تأثير الإلهام أكثر من الفهم لأنه يفحص ما يفوق العقل ويكشف المستورات، فيكون الإنسان أقلَّ ضبطاً للكلام والمعاني والتعبيرات، لذلك أصبح لزاماً أن يكون هناك رقيبٌ على النبي حينما يتنبَّأ.

وكذلك في موهبة الألسن إذ يكون المتكلِّم مُبتَلَع الذهن، أو حسب تعبير بولس الرسول: «يكون الذهن بلا ثمر» (١كو ١٤: ٤)؛ لذلك

أصبح لزاماً أيضاً أن يكون هناك مترجم يصاحب اللسان حينما يتكلَّم، ليشرح ويُترجم ما يقوله.

وفي الوقع إن قيام هاتين الموهبتين الروحيتين، أي "الترجمة" و"الحكم"، كرقابة على موهبتي التكلُّم بالألسن والنبوَّة مَنْشَأه ضعف الطبيعة العقلية للإنسان، وعدم كفايتها لتكون في كمال الإلهام الإلهي وكمال الوعي البشري معاً، لذلك فهي تحتاج إلى وسيط. كما أن صعوبة التعبير عما لا يرى، تحتاج حتماً إلى مساندة ومراجعة. لذلك نسمع الإنجيل يشدِّد دائماً أن «**امتحنوا الأرواح**» (١يو ٤: ١)، ويدعو باستمرار إلى «**تمييز الأرواح.**» (١كو ١٢: ١٠)

كذلك نجد في سرد بولس الرسول لقائمة المواهب وتسلسلها أن بولس الرسول يضيف **تمييز الأرواح على موهبة النبوة**، وكأنهما ملتزمتان ببعضهما البعض: «**ولآخر نبوَّة ولآخر تمييز الأرواح**». كما يضيف **موهبة الترجمة إلى موهبة التكلُّم بالألسن، كضرورةٍ حتمية: «ولآخر أنواع ألسنة ولآخر ترجمة ألسنة.**» (١كو ١٢: ١٠)

والواقع أن **التزام موهبة النبوَّة بموهبة تمييز الأرواح، والتزام موهبة التكلُّم بالألسن بموهبة ترجمة الألسن**، تظهر لزوميتهما لو فحصنا وضع الكنيسة الطبيعي، خصوصاً في عصورها الأُولى. فالحياة المسيحية كانت تُمارَس داخل الكنيسة بحرية روحية كاملة، والجماعة كانت تنمو نموّاً مكشوفاً تلقائيّاً غير مصطنع، **غير مدرسي** قط. فكان كل مَنْ يدفعه الإلهام إلى التكلُّم أو الشهادة أو تعزية الجماعة، كان مأذوناً له أن يتكلَّم ويُعبِّر عمَّا يحسُّه، لذلك أصبح وجود الرقابة الروحية للضبط والتمييز على المواهب، وكان الثقل على أصحاب هذه المواهب شديداً إذ كانوا مسئولين عن تشجيع النمو الروحي وتزكية واضطرام المواهب في المؤمنين؛ وفي نفس الوقت

كانوا مسئولين عن الحد من الانحرافات، وإنذار الذين بلا ترتيب: «ثم نسألكم أيها الإخوة، أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبِّرونكم في الرب وينذرونكم، وأن تعتبروهم كثيراً جدّاً في المحبة من أجل عملهم ... **أنذروا الذين بلا ترتيب... لا تطفئوا الروح، لا تحتقروا النبوَّات، امتحنوا كل شيء!!**» (١تس ٥: ١٢، ١٤؛ ١٩ - ٢١)

الفصل الثالث

مواهب التعليم

لقد تعدَّدت مواهب التعليم في الكنيسة، بسبب عمق الله وأعماله وغِنَى نعمته وغزارة أسراره، فلم يوجد بين الناس قط مَنْ هو كُفءٌ بمفرده أن يستوفي هذه المعرفة الروحية، لذلك سكب الله مواهب متعدِّدة على أشخاص كثيرين، متميِّزين في الاستعداد والعمق والفهم، حتى تُستعلن أسرار المعرفة الإلهية في كافة نواحيها، ويُستكمَل الإيمان.

وتنقسم مواهب التعليم أساساً إلى نوعين:

١ - موهبة التعليم بكلام **λόγος γνώσεως معرفة**

٢ - موهبة التعليم بكلام **λόγος σοφίας حكمة**

+ «الواحد يُعطى بالروح كلام **حكمة**، ولآخر كلام **علم**، بحسب الروح الواحد.» (١كو ١٢: ٨)

وفي موضع آخر يشير القديس بولس الرسول إلى الينبوع الواحد الذي تتفجَّر منه هاتان الموهبتان: «... المسيح، المذْخر فيه جميع كنوز **الحكمة والعلم**.» (كو ٢: ٣)

أما "**موهبة الحكمة**" في المفهوم المسيحي في القرن الأول، فكانت تنحصر في معنى الإلهام الإلهي، الذي يجعل الإنسان مقتدراً في الحكم على الأمور العلمية التي تخص الحياة المسيحية، وعلى تصريف الأمور، وتمييز المواقف، ومعرفة الحق، وتسليم دقائق الحياة للجيل الناشئ، وكانت تسمَّى لدى الآباء الأُوَل: "موهبة إفراز **Discretion**".

وأما "**موهبة العلم γνῶσις**"، فكان معناها في القرن الأول مقصوراً على الدراية النظرية الملهمة لمعرفة أصول الديانة، وكانت تقوم على سر استعلان الأمور المختصة بالمسيح كما وردت في العهد القديم، ثم كشف أسرار تدبير الله في التجسُّد وفي الآلام والصلب والقيامة، وعملها الصميمي في خلاص الإنسان: «إن كنتم قد سمعتم **بتدبير نعمة الله المُعْطاة لي** لأجلكم أنه **بإعلان عرَّفني بالسر**، كما سَبَقْتُ فكتبت بالإيجاز، الذي بحسبه حينما تقرأونه **تقدرون أن تفهموا درايتي بسرِّ المسيح**، الذي في أجيال أُخر **لم يُعرَّف** به بنو البشر، كما قد **أُعلن الآن لرُسُلِه القديسين وأنبيائه، بالروح**.» (أف ٣: ٢ - ٥)

والفرق بين الموهبتين واضح ويتحدَّد تماماً في موضوع الكلام، فالكلام على الحياة الروحية العملية، والعلاقة الشخصية السريِّة مع المسيح، والسلوك في الحياة الاجتماعية بما يطابق الإيمان وبمقتضى الوصايا المسيحية، **هو غير الكلام النظري** عن بنود الإيمان وأساس العقيدة.

وهذا الاختلاف الموضوعي بين **موهبة كلام الحكمة وموهبة كلام المعرفة**، يقتضي بالضرورة اختلافاً في الاستعداد الطبيعي بين **الأشخاص الموهوبين المُنعَم عليهم**.

فإن كان يوجد أحياناً مَنْ هو كفءٌ للموهبتين معاً، مثل بولس الرسول، إلا أنهما في واقع الأمر مختلفتان، والكنيسة باستمرار تحتاج إليهما بتحديدهما وتخصُّصهما.

لذلك نجد أن الروح القدس أَفْرَزَ منذ البدء أشخاصاً مقتدرين، أهَّل بعضهم للحكمة العملية، والبعض الآخر للمعرفة النظرية: «لا أزال شاكراً لأجلكم، ذاكراً إياكم في صلواتي كي يعطيكم... روح **الحكمة** والإعلان في **معرفته**.» (أف ١: ١٦، ١٧)

ومعروف أنه بالرغم من أن بولس الرسول يقدِّم موهبة الحكمة على

موهبة العِلم، ربما لأجل سمُوِّ الأُولى على الثانية، إلا أنه في تدرُّجهما الطبيعي، **تأتي الحكمة بعد الامتلاء من العِلم**؛ وهذا ما يُشير إليه بولس الرسول بقوله: «ولكننا نتكلَّم بحكمة بين الكاملين» ويقصد بالكاملين هنا الذين امتلأوا وكملوا في المعرفة النظرية. ثم يستطرد ليفرِّق بين حكمة المسيح وحكمة اليونان: «ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يُبطَلونَ، **بل نتكلَّم بحكمة الله في سرٍّ**. الحكمة المكتوبة التي سبق الله **فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا**، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر» (١كو ٢: ٦ - ٨). وهنا يشير بولس الرسول إلى حكمة الله الموهوبة لنا، حكمة عملية تنقلنا إلى المجد، وهي غير حكمة اليونان النظرية التي تبطل.

ثم في الرسالة إلى العبرانيين يوضِّح بولس الرسول أكثر، الفرق بين الحكمة العملية والمعرفة النظرية، وذلك بالنسبة للمؤمنين: «قد صرتم متباطئي المسامع (**يشير إلى إهمالهم المعرفة النظرية**)، لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلِّمين (**أي كان مفروضاً أن يكونوا مؤهَّلين لموهبة التعليم نفسها**) بسبب طول الزمان، تحتاجون أن يعلِّمكم أحد ما هي أركان بداءة أقوال الله (أصول الإيمان الأولية)، وصرتم محتاجين إلى اللبن (المعرفة البسيطة) لا إلى الطعام القوي (الحكمة العميقة العملية)، لأن كل مَنْ يتناول اللبن (لا يزال يجهل أصول الإيمان الأولية) هو عديم الخبرة في كلام البر (أي ليست له خبرة عملية في الحكمة والسلوك حسب البر) لأنه طفل (أي مبتدئ في الإيمان النظري)، أما الطعام القوي فللبالغين، الذين بسبب التمرُّن (الذين كملوا في المعرفة النظرية وابتدأوا يطبِّقون المعرفة عن الحياة ويتحكَّمون) قد صارت لهم الحواس (الروحية) مُدرَّبة على التمييز بين الخير والشر (**أي بلغوا إلى الحكمة العملية التي تُسمَّى الإفراز = Discretion**).» (عب ٥: ١١ - ١٤)

درجات المعلِّمين:

قد عَرَفَتْ الكنيسة أربعة درجات من المعلِّمين: «وهو أعطى البعض أن يكونوا **رُسُلاً**، والبعض **أنبياء**، والبعض **مبشِّرين**، والبعض **رُعاة ومعلِّمين**.» (أف ٤: ١٠)

الدرجة الأُولى: الرسل:

هؤلاء هم الذين استلموا أصول التعليم من المسيح رأساً؛ كما استلموا موهبة التعليم كأمر إلهي: «وعلِّموهم بكل ما أوصيتكم به.» (مت ٢٨: ٢٠)

والرسل يتميَّزون تميُّزاً فائقاً عن كافة المعلِّمين كونهم **شركاء رؤية للمسيح**، سواء في أعماله أو كلماته، أو آلامه أو مجده، فكانت تعاليمهم ذات أصالة فائقة كشهود عيان في كل ما كانوا يقولونه ويعلِّمون به: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا... الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا» (١يو ١: ١ - ٣)، «لأننا لم نتَّبع خرافات مُصنَّعة إذ عرَّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنَّا مُعاينين عظمته، لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل إليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سُررت به، ونحن سمعنا هذا الصوت مُقبلاً من السماء إذ كنَّا معه في الجبل المقدَّس» (٢بط ١: ١٦ - ١٨). وهذه الدرجة تشمل الاثني عشر بمتياس الرسول، والسبعين الذين عيَّنهم الرب، وبولس الرسول.

الدرجة الثانية: الأنبياء:

هؤلاء تجيء رتبتهم بعد الرسل، وقبل المبشِّرين، بسبب قدرتهم على اللحاق بالرسل والاقتراب من المسيح بواسطة نعمة الرؤيا ἀποκάλυψις،

وانفتاح بصيرتهم التي تؤهِّلهم لإدراك المعرفة الإلهية ومشيئة الله كشهود عيان، لذلك فتعليمهم عن الأمور المختصة بملكوت الله تجيء أكثر عمقاً من معرفة المبشِّرين والمعلِّمين الملهَمين. وقد كان تعليمهم بالفعل أكثر حيوية وتأثيراً في انتشار ملكوت الله، خصوصاً بعد عصر الرسل مباشرة.

ولم تكن وظيفتهم في الكنيسة ثابتة، لأنهم كانوا يجولون من كنيسة إلى أخرى(١):

+ «ويهوذا وسيلا إذ كانا هم أيضاً نبيَّين، وعظا الإخوة بكلام كثير وشدَّداهم. **ثم بعدما صرفا زماناً أُطلِقا بسلامٍ.**» (أع ١٥: ٣٢)

+ «وبينما نحن مقيمون أيَّاماً كثيرة، انحدر من اليهودية **نبي اسمه أغابوس**، فجاء إلينا وأخذ منطقة بولس وربط يديَّ نفسه ورجليه وقال: هذا يقوله الروح القدس، الرجل الذي له هذه المنطقة، هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلِّمونه إلى أيدي الأُمم.» (أع ٢١: ١٠، ١١)

ويُلاحَظ **أن النبوَّة في العهد الجديد، اختصت بإلهام مخاطبة النفس وكشف الضمائر**، فكان وعظ الأنبياء شديد الوطأة والتأثير: «ولكن إن كان الجميع يتنبَّأون فدخل أحد غير مؤمن أو عامي، فإنه يوبَّخ من الجميع، ويُحكَم عليه من الجميع، وهكذا تصير خفايا قلبه ظاهرة، وهكذا يخرُّ على وجهه ويسجد لله منادياً أن الله بالحقيقة فيكم.» (١كو ١٤: ٢٤)

---

(١) [٤. كل رسول يأتيكم فاقبلوه. ٥. ولا يمكث أكثر من يوم واحد، وإذا وُجِدَت ضرورة فيوم آخر أيضاً؛ وإن بقي ثلاثة أيام فهو نبي كاذب] (الديداكية ١١: ٤، ٥)

ومن أمثلة الأنبياء المشهورين أيضاً: «يوسف الذي دُعيَ من الرسل برنابا الذي يُترجَم ابن الوعظ - وهو لاوي قبرصي الجنس» (أع ٤: ٣٦). ويُلاحَظ هنا أن كلمة برنابا تفسيرها "ابن نابا" أي ابن النبوَّة التي تُرجِمَت باليونانية هكذا: **υἱός παρακλὴσεως & υἱός προφητείας**

الدرجة الثالثة: المبشِّرون:

والمبشِّر هو أيضاً الإنجيلي، لأن أصل الكلمة واحد، وهذه الدرجة مكرَّمة جدّاً بسبب ما يلازمها غالباً من استشهاد. هؤلاء لا يعلِّمون دقائق الإيمان وإنما ينادون ببشرى الخلاص، ويعلنون مجد المسيح وفخر الإيمان أينما حلّوا. وعمل المبشِّرين هو في الواقع أساس انتشار المسيحية، وبالتالي أساس الكنيسة كلها. فالإنجيليون هم مؤسِّسو الكنيسة بالمعنى الحقيقي، لأنهم هم الذين وضعوا أساس الخلاص وبذرة الإيمان، ليس بتعاليمهم وندائهم فحسب، بل وبالأكثر جدّاً، بدمائهم التي سفكوها فكانت الشاهد على صدق إيمانهم وتعليمهم!

ومن الأمثلة البارزة لمن نالوا هذه الموهبة الكريمة وتخصَّصوا فيها «فيلُبُّس المبشِّر إذ كان واحداً من السبعة» (أع ٢١: ٨). وطبعاً هناك فارق بين مَنْ هو حاصل من النعمة على موهبة المبشِّر، وبين مَنْ يتطوَّع ليعمل عمل المبشِّر «اِعمَلْ عَمَل المبشِّر، تمِّم خدمتك.» (٢تي ٤: ٥)

وقد احتفظ لنا المؤرِّخ **يوسابيوس القيصري** بصورة واقعية لعمل المبشِّرين، وصِلَتِهم بالرعاة والمعلِّمين في عصر الرسل وما بعده، فيصفهم في كتابه الثالث الفصل السابع والثلاثين هكذا:

[وممَّن اشتهروا في ذلك الوقت كوادراتس الذي يروي التاريخ عنه أنه اشتهر بموهبة النبوَّة مع بنات فيلبس. ويوجد كثيرون آخرون غير هؤلاء من اشتهروا في تلك الأيام، الذي **احتلوا المكان الأول بين خلفاء الرسل.**

هؤلاء أيضاً إذ كانوا تلاميذ بارزين لتلك الشخصيات العظيمة، فقد **أكملوا أساسات الكنائس** التي وضعها الرسل في كل مكان، **ونادوا بالإنجيل** في مدى واسع، **وبذروا بذار الخلاص** الذي لملكوت السماء في الأرجاء البعيدة والقريبة في كل العالم... إذ بدأوا **يقومون برحلات طويلة** ويتمِّمون خدمة التبشير، إذ كانوا قد امتلأوا رغبة في الكرازة بالمسيح لمن لم يسمعوا بعد كلمة الإيمان، **وتوصيل الأناجيل** الإلهية إليهم.

وعندما **وضعوا أساس الإيمان** في البلاد الغريبة، **أقاموا غيرهم كرعاة**، وعهدوا إليهم بتغذية من أُدخِلوا حديثاً، بينما اتجهوا هم ثانية إلى الممالك والشعوب الأخرى، **مؤازَرين بنعمة الله وتعضيده**، لأن أعمالاً عجيبة كثيرة تمَّت على أيديهم **بقوَّة روح الله**].

الدرجة الرابعة: المعلِّمون:

هؤلاء مسئولون عن المؤمنين الذين دخلوا حديثاً، يُعلِّمونهم الإيمان، ويشرحون لهم الإنجيل، ويُثبِّتون لهم العقيدة. فدورهم يأتي بالضرورة بعد المبشر، لأنهم ليسوا مؤسِّسي كنائس ولا هم واضعو أساس الخلاص، وإنما يكمِّلون عمل المؤسسين فيبنون نفوس المؤمنين، لذلك فلا غِنَى لأية كنيسة عنهم، وظيفتهم ثابتة في كل كنيسة، لا يتنقَّلون، لأنهم يباشرون نمو بناء نفوس تلاميذهم، يوماً بعد يوم ويسهرون عليهم: «حسب نعمة الله المعطاة لي كبنَّاء حكيم، قد وضعت أساساً وآخر يبني عليه.» (١كو ٣: ١٠)

***

هذه الدرجات الأربع من المعلِّمين تجيء مطابقة تماماً لاحتياج الكنيسة. وهي تمثِّل صورة واقعية لغِنَى الروح القدس وغزارة النعمة الموهوبة من السماء لبناء النفس البشرية، بواسطة يسوع المسيح المعلِّم الإلهي: «الذي نزل هو

الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات **لكي يملأ الكل**. وهو أعطى البعض أن يكونوا رُسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشِّرين، والبعض رُعاة ومعلِّمين، لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح.» (أف ٤: ١٠ - ١٢)

الفصل الرابع

المواهب العملية

ولكي تستطيع الكنيسة أن تسوس المؤمنين، وتسهر على المواهب، وتُضرمها، وتدبِّر شئونها في الداخل والخارج، وتضبط نظامها، صارت في أشد الحاجة إلى المواهب العملية، التي سكبها الروح القدس عليها بالفعل في الحين الحسن.

والمواهب العملية في الكنيسة تنقسم إلى قسمين كبيرين:

القسم الأول: ويختص بشئون الكنيسة نفسها وفيه نالت الكنيسة موهبتين عظيمتين:

١. موهبة **التدبير** أي **حكم الكنيسة كلها** **χάρισμα κυβερνήσεως**

٢. موهبة **خدمة الاحتياجات الجسدية** **χάρισμα διακονίας**

القسم الثاني: ويختص بالمواهب التي تذيع مجد الله، لتشديد المؤمنين وتقوية معنويات الكنيسة، وهي تنقسم أيضاً إلى نوعين:

١. **عمل قوَّات** **ἐνεργήματα δηνάμεων**

٢. **مواهب شفاء** **χαρίσματα ἰαμάτων**

+ «ولآخر موهبة شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوَّات.» (١كو ١٢: ٩، ١٠). وهاتان الموهبتان ولو أنهما حسب الظاهر تبدوان عملاً إضافياً على الإيمان، إلا أنهما كانتا ذات شأن عظيم في تأسيس الكنيسة وتقويتها، وإعلان مجد الله الذي فيها، خصوصاً في أيامها الأُولى وفي فترات اضطهادها.

موهبة القيادة

(κυβέρνησις التدبير)

أما بخصوص موهبة قيادة الكنيسة وتدبيرها، فأصبحت ضرورة حيوية منذ أول لحظة اجتمع فيها المؤمنون معاً؛ وذلك بسبب كثرة المواهب التي تدفَّقت على المؤمنين في البداية، والتي احتاجت لمن يسوسها ويُضرمها ويُنمِّيها.

وقد سكب الروح القدس على بعض الأشخاص هذه الموهبة، فجعلهم محبوبين وقادرين أن **يجمعوا المتفرِّقين، ويصالحوا المتخالفين، ويشجِّعوا المواهب، ويسندوا الضعفاء، ويقدِّموا المستحقين للكرامة.**

ولهذه الموهبة يرجع الفضل في إقامة القسوس في الكنيسة أولاً.

وقد استعارت الكنيسة اسم هذه الوظيفة القيادية أي شيوخ πρεσβύτεροι أو قسوس، من وظيفة الكاهن في المجمع اليهودي قديماً.

ولكن بتدعيم النظام الكنسي وظهور اختصاصاته الشعبية في البلاد اليونانية، استعاروا اسم الوظيفة المعادلة لها في النظام الحكومي اليوناني وهو ἐπίσκοποι أي أساقفة ومعناها الحرفي **النظارة العُليا**، أي الهيمنة فوق شئون الكنيسة كلها. وكانت هذه الكلمة أصلاً اسماً لوظيفة المهيمنين على شئون الشعب في المقاطعات التابعة لأثينا قديماً.

ونجد في رسالة بطرس الرسول استخدام الاسمين معاً – أي القس والأسقف – للتعبير عن وظيفة وعمل الكاهن. فجاءت كلمة **قسوس**، لتعني اسم الوظيفة التي يقوم بها الكاهن. وكلمة **أساقفة**، لتعني اختصاصات هذه الوظيفة «أطلب إلى **الشيوخ** (القسوس) الذين بينكم أنا **الشيخ** (القس) رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يُعلَن، ارعوا

رعية الله التي بينكم **نظاراً** (أساقفة ἐπισκοποῦντες)، لا عن اضطرار بل عن اختيار.» (١بط ٥: ١، ٢)

وبهذا المعنى أيضاً يستخدم **سفر الأعمال** كلمة قسوس وكلمة أساقفة معاً لنفس الأشخاص باعتبار أن **القسوسية اسم وظيفة والأسقفية طبيعة عملها**: «ومن ميليتُس أرسل إلى أفسس واستدعي **قسوس الكنيسة**, فلما جاءوا إليه قال لهم... احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها **أساقفة** ἐπισκόπους لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠: ١٧، ٢٨)

ولكن لا يُفهَم من هذا أن كلمة أسقف تعني نظارة إدارية فقط **بل هي تفيد معنى رعاية الشعب روحيّاً**، أي حمل مسئولية قيادة وتدبير النفوس لإدخالها ملكوت السموات، **فعمل** الأسقف ἐπισκοπεῖν يعادل تماماً في مفهوم الكلمة **عمل** الراعي ποιμαίνειν.

ومنذ البداية، كان يُقام في كل كنيسة عدَّة قسوس لرعاية الشعب وتدبير الكنيسة؛ وبمرور الزمن **صار من المُحتَّم إقامة واحد من بينهم يتقدَّمهم وصار هذا المتقدِّم له اختصاص النظارة العليا فاختصَّ بلقب الأسقف دون غيره، ومن هنا بدأت كلمة أسقف تأخذ معنًى منفصلاً عن القس،** وبالتالي بدأت اختصاصات الأسقف تتميَّز عن اختصاصات القس، باعتبار الأسقف "رئيساً" على الكنيسة كلها ومتقدِّماً على الكهنة. وقد ظلَّت رتبة "مقدِّم الكهنة" (إيغومانس) مستمرَّة في الكنيسة حتى اليوم إنما بدرجة قس بعد أن انفصلت رتبة الأسقفية عن القسوسية في كافة

اختصاصاتها(٢).

---

(٢) [إن مجلس القسوس (الشيوخ) المسيحي، مثل مجلس المشيخة اليهودي الذي اشتُقَّ منه، كان هيئة متّحدة شرعية. وكان الأسقف - باعتباره حاكم كنيسته - ببساطة قساً بين زملائه القسوس.

ولم يكن للقس المسيحي في البداية - شأنه شأن نموذجه اليهودي الأوَّلي - وظائف ليتورجية (انظر: صلاة تكريس القس - في التقليد الرسولي لهيبوليتس*)، أما وظيفة "الأسقفية" فكانت منذ البدء ليتورجية قبل كل شيء، شأنها شأن "الشمَّاسية" (انظر صلاة تكريس الشمامسة - التقليد الرسولي لهيبوليتس*).

أي أن تاريخ الأسقفية تضمَّن تفككاً مطّرداً في تفرُّدها بالخدمة الليتورجية، هذا التفكُّك الذي لم يكن ممكناً تجنُّبه إذ أنه بنمو الكنيسة وجب أن يصير هكذا لمجرَّد ضرورة (التزايد) العددي]:

Gregory Dix (S.P.C.K.) Apost. Trad. Of St. Hippolyt. of Rome, pp. lxxix & lxxx.

***صلاة لرسامة أسقف (تكريس أسقف)**

(مترجمة عن الأصل اليوناني للقوانين الرسولية **Apost. Constit.**

للقديس هيبوليتس - القرن الثالث)

١. يا الله وأبو ربنا يسوع المسيح، أبو الرأفات وإله كل تعزية، "الساكن في الأعالي والناظر إلى المتواضعات"، الذي يعرف كل الأشياء قبل كونها.

٢. أنت الذي حدَّدت حدود كنيستك "بكلمة نعمتك"، الذي سبقت فعيَّنت منذ البدء جنس البر من إبراهيم، وأقمت رؤساءً وكهنة ولم تترك مَقدِسك بلا خُدَّام، الذي سررت منذ تأسيس العالم أن تتمجَّد في الذين اخترتهم.

٣. الآن أيضاً اسكب قوَّة الروح الرئاسي، التي من عندك، التي دفعتها إلى ابنك الحبيب يسوع المسيح، التي وهبها لرسلك القديسين الذين أسَّسوا الكنيسة في مواضع قدسك، لتمجيد اسمك بلا انقطاع.

٤. أيها الآب، "العارف قلوب الجميع"، امنح عبدك هذا الذي اخترته للأسقفية **ليرعى** قطيعك المقدَّس، ويكمِّل لكَ رئاسة الكهنوت، **ويخدم** بلا لوم ليلاً ونهاراً بلا انقطاع، لكي يسترضي وجهك ويقدِّم لك قرابين كنيستك المقدَّسة.

بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية ←←

ولكن في البدء لم يكن هناك تفريق بين كلمة "القس" وكلمة "الأسقف" في شيء، وكانت هذه الدرجة تتوقَّف كليّاً على "الموهبة" الممنوحة من النعمة للشخص، فالذي يُزكِّي أي إنسان لدرجة القسوسية أي الأسقفية، لرعاية وتدبير وحكم الكنيسة، هو الروح القدس، بما يسبق ويمنحه للإنسان من مواهب للقيادة والتدبير.

وموهبة القيادة والتدبير، موهبة دقيقة للغاية لأنها ليست موهبة حرَّة منفردة كبقية المواهب، مثل موهبة النبوَّة أو البشارة أو التعليم، ولكنها

← *بقية الحاشية من أسفل الصفحة السابقة*

٥. ولكي بروح رئاسة الكهنوت يحوز سلطاناً **ليغفر الخطايا** حسب وصيتك، ويعطي قِسماً (κλήρους أي الرسامات الخاصة بدرجة الكهنوت) كأمرك، **وليحلّ كل رباط** بسلطانك الذي أعطيته للرسل، ويرضيك بوداعة وقلب نقي، ويصعد إليك رائحة سرور.

٦. بابنك يسوع المسيح ربنا، الذي لك معه ومع الروح القدس المجد والقوَّة والكرامة، الآن "وكل أوان" وإلى دهر الدهور آمين. **Ibid., pp. 4-6**

***رسامة (تكريس) قس**

(مترجمة عن الأصل اليوناني **Apost. Constit.**)

١ – يا الله وأبو ربنا يسوع المسيح ...

٢ – ...

٣ – ... بلا انقطاع (نفس الفقرات ١ – ٣ في صلاة رسامة الأسقف).

٤ – اطّلع على عبدك هذا الذي اخترته ليُعطَى القسوسية، واملأه من روح النعمة والمشورة، ليعضد ويدبِّر شعبك بقلب نقي.

٥ – وكما اطّلعت على شعب اختيارك، وأمرت موسى أن يختار شيوخاً، (أولئك) الذين ملأتهم من الروح.

٦ – هكذا الآن يا رب امنح أن يبقى روحُ نعمتك بيننا لكي – إذ يمتلئ من أعمال الشفاء وكلمة التعليم، يهذِّب بوداعةٍ شعبك، ويخدمك بفكر نقي ...، ويكمِّل الخدمات الكهنوتية لشعبك بغير عيب بمسيحك، الذي لك معه ومع الروح القدس، المجد والكرامة والعبادة إلى الدهور. آمين. **Ibid., pp. 13 & 14.**

مرتبطة بمسئوليات ثابتة وخطيرة، إذ أن الشخص يكون مسئولاً عن كافة الرعية، بما في ذلك أصحاب المواهب الممتازة. لذلك استلزمت موهبة التدبير كفاءة وإلهاماً خاصين، يؤهِّلانها أن تكون على مستوى الأُبوَّة الكاملة لكافة الشعب، وفي نفس الوقت أن تكون على مستوى كافة المواهب الأخرى وليس من دونها(٣).

ومن هنا بدأت شروط اختيار القس أو الأسقف ذات تدقيقات كثيرة، ولكن أهمها على وجه العموم أن يكون **صاحب "موهبة التدبير"**، أي يكون له إلهام القيادة وتصريف الأمور والقدرة الروحية التي لا تُخطئ في الحكم على الأمور: «يَحكُم في كل شيء، ولا يُحكَم فيه من أحد».

ومن الأمور الواضحة جدّاً في الكنيسة الأُولى أن مفهوم القس أو الأسقف لم يكن مفهوم الرئاسة المطلقة على الكنيسة، **فالشعب كان يشترك اشتراكاً فعليّاً في كافة مسئوليات الكنيسة حتى في أدق الأمور، فلم يكن القسوس أو الأساقفة ينفردون بالتدبير، أو بإصدار الأحكام من دون اجتماع الشعب ومشورته، وخاصة أصحاب المواهب فيه**(٤).

---

(٣) [١. اختاروا إذن لأنفسكم أساقفة وشمامسة، لائقين بالرب، رجالاً ودعاء نزيهين، أمناء مزكّين؛ لأنهم يكمِّلون أيضاً لكم خدمة الأنبياء والمعلِّمين. ٢. فلا تحتقروهم إذن، لأن هؤلاء هم المكرَّمون بينكم مع الأنبياء والمعلِّمين.] (الديداكية ١٥: ١ و٢)

[... لأجل هذا أيضاً أيها الأسقف، أسرع أن تثبت طاهراً في أعمالك كلها، و(أن) تعرف موضعك ورتبتك أنك **مثال الله قدَّام الناس لما صرت رئيساً على الناس كلهم: الكهنة والملوك والرؤساء والآباء والأولاد والمعلِّمين وكل الذين تحت خضوعك.**] (الدسقولية ٣: ٥٢)

(٤) [وأما أنت (المخاطَب هنا هو الأسقف) فتأمَّل الذي يُقرِّفونه، وانظر عيشته بحكمة لتعلم مَنْ هو، وأي نوع هو.

فإذا وجدت الذي قيل لكَ لأجله حقّاً، اصنع معه كتعليم الرب: خذه وحده وليس

بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية ←←

وهذا نراه مطبَّقاً حتى في كنيسة الرسل بأورشليم التي كانت تضمُّهم جميعاً «حينئذ رأى الرسل والمشايخ (القسوس) **مع كل الكنيسة**، أن **يختاروا** رجلين منهم فيرسلوهما إلى أنطاكية.» (أع ١٥: ٢٢)

ولم يكن هذا مجرَّد تنازل عرفي، ولكن سجَّله الرسل في الخطاب الرسمي الذي أرسلوه إلى أنطاكية، فجعلوا بذلك لمشورة الكنيسة الصفة الرسمية الحتمية في التقرير: «الرسل والقسوس **والإخوة** ... رأينا وقد **صرنا بنفس واحدة**، أن **نختار** رجلين ونُرسلهما إليكم.» (أع ١٥: ٢٣ - ٢٥)

ومن هذه الصيغة الكنسية الرسمية، يظهر معنى الكنيسة وطبيعتها وبالأخص من حيث تدبيرها.

فموهبة القيادة والتدبير تشمل ضمن صميم عملها وإلهامها، قدرة القس أو الأسقف على تحقيق اشتراك الشعب في التدبير، واستخلاص حكم الله من أفواه الرعية!

وهذا بطبيعة الحال، يُزيد من أهمية وخطورة التدبير في قيادة الكنيسة ورعايتها، ويكشف مدى الإلهام الحقيقي الذي في موهبة التدبير.

والمعروف في الكنيسة الأُولى أن موهبة القيادة والتدبير كانت موهبة

← *بقية الحاشية من أسفل الصفحة السابقة*

معك أحد، وونِّخه بينك وبينه لكي يتوب.

فإذا لم يسمع خُذ معك آخر أو اثنين. وهكذا فقُلْ له تَوانيه وارْدَعْه بوداعة وحكمة... فإذا طاب قلبه بكلامكم أنتم الثلاثة، فالخير يكون له. وأيضاً إن لم يسمع من الإكليروس، فقل للكنيسة. فإن لم يُطع الكنيسة، فليكن عندك مثل الأُممي والعشَّار، ولا تقبله في الكنيسة كمسيحي بل استعفِ منه كأُممي. فإذا أراد أن يتوب، إقْبَلْه إليك مثل أُممي لأنك لا تقبل إليك الأُممي والعشَّار لكي يشتركا معك قبل أن يتوب الواحد منهما ويرجع عن نفاقه الأول...] (دسقولية ٨: ٦ - ١٢)

قائمة بذاتها، وعملها هو الهيمنة على كافة المواهب الموجودة في الكنيسة، من نبوَّة وبشارة وتعليم وخدمة، وتنسيق عمل أصحاب هذه المواهب وتوجيهها، بالإضافة إلى إمكانيات المدبِّر نفسه، الموهوبة له لبناء النفوس وقيادتها بالروح، أي الرعاية. أي أن موهبة التدبير هي موهبة قائمة أساساً على افتراض وجود مواهب أخرى، وذلك لقيادتها ومباشرة عملها وتنسيق اختصاصاتها، وتشجيعها وإضرامها، وامتحانها وتمييزها.

وبذلك كانت موهبة التدبير غير مستقلة بكيانها كموهبة منفصلة عن باقي المواهب، ولكنها في نفس الوقت لها عملها الخاص بعد كل المواهب الأخرى وفوقها.

+ «**أَنْبُوَّة** فبالنسبة إلى الإيمان، أم **خدمة** ففي الخدمة، أم **المعلِّم** ففي التعليم، أم **الواعظ** ففي الوعظ... **المدبِّر فباجتهاد**.» (رو ١٢: ٦ - ٨)

وهذا في الواقع وضع إلهي للكنيسة، لأنه يُعطي فرصة لازدهار المواهب ونموها، وفي نفس الوقت يضبطها ويمنع تعارضها أو تداخلها معاً.

فمن أخطر مسئوليات المدبِّر **أن لا يطغي على أصحاب المواهب**، بسبب أمور شخصية أو جهل أو عناد، فيُطفئ الروح من الكنيسة: «لا تُطفئوا الروح(٥)، لا تحتقروا النبوَّات(٦)، امتحنوا كل شيء(٧)» (١تس ٥:

---

(٥) [وأما الأنبياء، فدعوهم يشكرون، بقدر ما يريدون.] (تعاليم الرسل - الديداكية ١٠: ٧)

(٦) [وكل نبي يتكلَّم بالروح (القدس)، لا تجرِّبوه ولا تفحصوه، لأن كل خطية تُغفر، أما هذه الخطية فلن تُغفر.] (الديداكية ١١: ٧)

(٧) [١. كل مَنْ يأتيكم ويعلِّمكم كل الأشياء المتقدِّم ذكرها فاقبلوه.

٢. ولكن إن كان الذي يعلِّم، يغيِّر من نفسه ويعلِّم تعليماً آخر للهدم، فلا تصغوا إليه؛ أما إذا كان يعلِّم من أجل ازدياد البر ومخافة الرب، فاقبلوه كالرب.

٣. أما من جهة الرسل والأنبياء، فطبقاً لأمر الإنجيل تصرَّفوا بهذه الطريقة:

بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية ←←

١٩ و٢٠). لذلك فإن التدبير في الكنيسة لزم أن يكون "موهبة وإلهام ونعمة"، وليس قدرة شخصية أو كفاءة ذاتية!

وفي نفس الوقت، لا يمكن أن يستهين أصحاب المواهب بالمدبِّر، أي القس أو الأسقف، لأنه صاحب "موهبة" أيضاً، وموهبة التدبير لها الهيمنة والإشراف على كافة المواهب قاطبة.

والذي يعطي موهبة التدبير صفتها الإلهية فوق المواهب الأخرى، هو **وضع اليد**؛ فهي الموهبة الوحيدة التي لا يمكن أن تأخذ عملها وتباشر سلطانها ومسئوليتها داخل الكنيسة، إلا بوضع اليد. فوضع اليد يرفع موهبة التدبير فوق كافة المواهب الأخرى، باعتبار أن وضع اليد بمثابة ختم رسولي لتسجيل موهبة التدبير، وإعطائها **اختصاصات** رسولية.

ولكن هذا الامتياز الرسولي الفائق لا يعطي المدبِّرين، قسوساً أو أساقفة، فرصة التعالي على الشعب، بل يُزيد من قدرتهم في اقترابهم واتحادهم بالشعب(٨)...

← *بقية الحاشية من أسفل الصفحة السابقة*

٤. كل رسول يأتيكم فاقبلوه كالرب.

٥. ولا يمكث أكثر من يوم واحد، وإذا وُجدت ضرورة فيوماً آخر أيضاً؛ فإن بقي ثلاثة أيام فهو نبي كذَّاب.

٦. وفي رحيل الرسول لا يأخذ سوى الخبز للطريق، فإن طلب فضة فهو نبي كذاب.

٨. لكن ليس كل مَنْ يتكلَّم بالروح هو نبي، بل مَنْ كانت له طرق حياة الرب. فمن أساليب حياته إذن، يُعرف النبي الكاذب والنبي الحقيقي.

٩. كل نبي يأمر بمائدة بالروح ولا يتعفَّف عن الأكل منها، فهو نبي كذاب.

١٠. وكل نبي يعلِّم بالحق ولا يعمل بما يعلِّم، فهو نبي كذاب] (الديداكية ١١: ١-٦، ٨-١٠)

(٨) [٤٤. ارع القطيع بغير غطرسة ولا ازدراء كأن لك عليهم سلطاناً، لكن كراعٍ صالح تجمع

بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية ←←

لأن كافة الامتيازات الروحية التي لموهبة القسوسية أو الأسقفية، لا يظهر مجدها أو إكليلها في الحياة الحاضرة. «أطلب إلى **الشيوخ (القسوس)** الذين بينكم أنا **الشيخ (القس) رفيقهم** والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يُعلَن. ارعوا رعية الله التي بينكم نُظَّاراً (أساقفة)، لا عن اضطرار بل بالاختيار؛ ولا لربح قبيح بل بنشاط، **ولا كمَنْ يسود على الأنصبة**، بل صائرين أمثلة للرعية. **ومتى ظهر رئيس الرعاة، تنالون إكليل** المجد الذي لا يبلَى.» (١بط ٥: ١ - ٤)

← *بقية الحاشية من أسفل الصفحة السابقة*

الحملان إلى حضنك وتُقوّى الحبالى فكن رحيماً صالحاً وديعاً... ولا مُترفِّع القلب...

[ولكن لا يهون الملك بأجناده وعساكره الذين هم دونه. لا يهون الرؤساء من هم دونهم ... الرؤساء لا شيء إذا لم يكن لهم مَنْ يرأسون عليه... ولا يتعالى الأسقف على الشمامسة والقسَّاء ولا يتعالى القسَّاء على الشعب لأن قيام الكنيسة بعضها ببعض. **لو لم يكن علمانيون على مَنْ يكون الأسقف أو القسيس.**] (قوانين الآباء الرسل: الباب ٤٩)

تداخل موهبة التدبير في موهبة التعليم:

بتقدُّم الكنيسة في الزمن وظهور تعاليمها واحتكاكها المستمر بالثقافات والفلسفات اليونانية، ابتدأت تواجه مبادئ وأفكاراً وتعاليم غريبة، احتاجت منذ أول ظهورها إلى قدرة كبيرة لمحاجاتها وتفنيد أخطائها، وقطع الطريق عليها لمنع انتشارها بين المؤمنين السُّذَّج، فابتدأ التعليم في الكنيسة يحتاج إلى سلطة، وابتدأت السلطة في الكنيسة تحتاج إلى عمق كبير ووعي في التعليم متزايد.

لذلك اضطرت الكنيسة لمواجهة هذا الضغط المتزايد، أن تمزج بين موهبة التعليم وموهبة التدبير بحكم الظروف الصعبة، فجعلت من بعض المعلِّمين قسوساً.

وبذلك ابتدأت تظهر في الكنيسة فئة جديدة من المدبِّرين أي القسوس، لهم صفة "التدبير التعليمي" بجوار التدبير الرعوي، هذه الفئة أوضحها بولس الرسول: «والبعض رعاة ومعلِّمين.» (أف ٤: ١١)

وهكذا صار لدى الكنيسة رعاة **مدبِّرين (حاكمون)**، ورعاة **معلِّمون**:

١- رعاة مدبِّرون[٩] πρεσβύτεροι κυβερνῶντες

٢- رعاة معلمون[١٠] πρεσβύτεροι διδάσκοντες

---

(٩) **الرعاة المدبِّرون (الأساقفة):**

على مدى الدسقولية كلها، نرى أن كل أثقال المؤمنين وتدبير احتياجاتهم الروحية والجسدية - كجماعة بصفة عامة وكأفراد بصفة خاصة - ملقاة على الأسقف (دسق ٥: ٣٨-٤٠)، يعاونه في ذلك الشمامسة المتَّصلون به اتصالاً مباشراً دون وسيط، باعتبارهم "أعين وآذان وفم الأسقف" (٨: ٥٠).

فعلى الأسقف أن يقوم بالتعليم العام للشعب (٣: ٢١-٢٣)، والتعليم الفردي للجُهَّال (٣: ٢٠ و٣٩-٤٥، ٤: ٣٨)، وإنذار المنافقين (٣: ٣٠-٣٨)، وتقوية الضعفاء (٣: ٧٠، ١٥: ١١)، وطلب الضالين ورَدِّهم وتثبيتهم (٣: ٣٩، ٤: ٣٩ و٤٠)، وتشجيع صغار النفوس واليائسين (٤: ٣٦، ٨: ٢٠، ١٥: ١١) وبذله ذاته عنهم (٤: ٣٧)، وتعزية الثابتين (٣: ٥٣)، وتجنُّب إعثار ناقصي القامة (٣: ٤٦-٤٨، ٤: ٩-١٢ و١٦ و١٧)، وتوبيخ المخطئين (٤: ١٣، ٨: ٦-٩)، وقبول التائبين (٣: ٥٣-٥٥ و٦٠-٦٢) والعفو عنهم (٤: ١٥ - ٢١، ٨: ٢٢-٢٤)، والحكم باستقامة في القضايا (٣: ٥٩، ٨: ١ - ٣ و٥٣ و٦١-٨٧)، ومعاقبة المذنبين (٤: ٦، ٨: ٦٧-٧١ و٨٣ و٨٤)، وردع الأشرار أو قطعهم (٨: ٣٧-٤٤)، وسد احتياجات رجال الإكليروس وخدم الكنيسة (٦: ١٧-٢٣)، ورعاية الأرامل (٦: ٢٠، ١٢: ١، ١٧: ١) والأيتام (١٧: ١-٤)، وسد أعواز الغرباء، والمتضيقين، والمساكين، والجياع والعطاش، والعرايا، والمرضى، والمسجونين، والذين ليس لهم مكان، والمنفيين (٣: ١٦، ٦: ١٧، ١٢: ١٢-١٧).

وواضح من تعاملات الأسقف - السابق ذكرها - مع شعبه على اختلاف طوائفهم فرداً فرداً، أن إيبارشية الأسقف كانت محدودة - كنيسة أو قرية أو مدينة واحدة (انظر: دسقولية ٣: ١، ٢)؛ إذ أن نظام الأسقفية الواحدة على عدة مراكز رعية **Monarchical Episcopate** لم يكن قد وُجِدَ بعد.

(١٠) **الرعاة المعلِّمون (القسوس):**

أما القسوس، فالدسقولية لا تتكلَّم بشأنهم كثيراً. ويظهر دورهم أنهم معلِّمون للكنيسة كجماعة (المقدِّمة: ٣، ٦: ١٠، ٢١)، بالإضافة إلى قيامهم بتعليم الموعوظين وتعميدهم (١٥: ٣٦)؛ كما أنهم مشيرو الأسقف (٦: ٢١)، وأعضاء في مجلس الحكم (٨: ٦٢).

ثم ابتدأ أن يُشترط في الأساقفة عند اختيارهم، لا موهبة التدبير فحسب بل زيد على ذلك القدرة على التعليم، وذلك بسبب الظروف الصعبة التي بدأت تواجهها الكنيسة في مقاومة التعاليم الغريبة. **ولكن لم تشترط الكنيسة في الأسقف أن يكون صاحب "موهبة تعليم"، بل اكتفت فقط أن يكون «صالحاً للتعليم»** (١تي ٣: ٢). لأنه يتعذر فعلاً العثور على إنسان له موهبة التعليم وموهبة التدبير معاً، لاختلاف طبيعة كل من هاتين الموهبتين عن الأخرى.

ولكي يكون الأسقف «صالحاً للتعليم»، يرى الإنجيل أنه ينبغي أن يجتهد بذاته للحصول على المعرفة باجتهاده، وهذا طبعاً يختلف عن صفات الموهبة، لأن "موهبة العلم" لا تعتمد على الاجتهاد الشخصي. وهذا نقرأه بوضوح في الشروط التي يضعها القديس بولس الرسول لصلاحية الأسقف أن يكون الأسقف «**مُلازماً للكلمة الصادقة** التي بحسب التعليم، لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبِّخ المناقضين» (تي ١: ٩)

وهنا يتبيَّن أن أمر انتخاب الأسقف ولياقته لا يتعلَّق بموهبة التعليم، وإنما بالدراسة المستمرة والقراءة والتحصيل الشخصي، حتى يكون "قادراً" أن يعظ ويوبِّخ ويناقض التعليم الغريب[١١].

---

(١١) [وليكن الأسقف غير شرير، صابر القلب في التعليم، يعلِّم كل حين، ويدرس ويجتهد في الكتب الربانية، ويستمر في القراءة ليفسِّر الكتب بتأنٍّ ...] (دسقولية ٣: ٢١).

[اهتم بالكلمة أيها الأسقف، لكي إذا كانت لك قدرة فسِّر الكتب كلها – كل حرف (فيها)، لكي تُشبع شعبك وتسقيه من نور الناموس بغِنَى، بواسطة كثرة تعليمك "أضيئوا بنور المعرفة – قال الرب – ما دام الزمان".] (دسقولية ٣: ٢٣؛ انظر كذلك الفقرات ٣: ٣٠ – ٤٠)

ولكن هذه القدرة الجديدة المطلوبة من الأسقف، لا تعني أنه يمكنها بأي حال من الأحوال **أن تلغي مواهب التعليم التي يمنحها الروح القدس لأفراد الشعب، لأن موهبة التعليم التي ينالها الموهوبون بالنعمة إيجابية مطلقة لبناء الإيمان؛ أما القدرة على التعليم التي يتحصَّل عليها الأسقف من القراءة والدراسة، فهي لمجرَّد التمييز بين التعليم الصحيح والخطأ.**

وحينما يشير بولس الرسول، إلى أهمية قدرة الأسقف على أن «يفصِّل كلمة الحق بالاستقامة» (٢تي ٢: ١٥)، يستخدم كلمة «**يفصِّل**» أو "**يقطع**" وهي كلمة ذات أصل ومدلول طقسي قديم فهي نفس الكلمة المستخدمة في طقس "تقطيع" الخروف على المذبح، وتفيد التقسيم الصحيح وفصل ما يصح أن يقدَّم لله، مما لا يصح تقديمه.

وهنا نجد أن بولس الرسول يجعل "الكلمة" تحل محل "الخروف" فيقول: «يفصِّل (أو يقطِّع) كلمة الحق» وطبعاً المسيح هو المرموز إليه سواء في الخروف أو «كلمة الحق» أي أن الأسقف يلزم أن يكون واعياً تماماً للكلام الذي يطابق شخص المسيح ولاهوته، فأصبحت كلمة "يقطع" أو «يفصِّل» هنا ذات مدلول لاهوتي صرف(١٢).

فالأسقف هو حارس التعليم الصحيح، أكثر من معلِّم، وهو عليه أن

---

(١٢) [... (الأسقف) ... ويفسِّر الإنجيل باتفاق مع الأنبياء والناموس، هكذا أيضاً فليكن تفسير الناموس والأنبياء متَّفقاً مع الإنجيل – لأن الرب قال «فتِّشوا الكتب فهي تشهد لأجلي» وأيضاً: «لأن موسى كتب من أجلي».

ولكن قبل كل شيء، (عليه أن) يميِّز جيداً الناموس الحقيقي من الناموس الثاني، ويُظهر ما هو الناموس قدَّام المؤمنين، وما هو رباط الناموس الثاني لغير المؤمنين – لكي لا يكون أحد تحت الرباطات.] (دسقولية ٣: ٢١ و٢٢)

يميِّز الكلام، أكثر مما يتكلَّم.

وهذا يطابق وظيفته تماماً "كناظر من أعلى"، أي كمَنْ يشرف على كل ما يُقال في الكنيسة.

فإذا ابتدأ الأسقف يعلِّم بنفسه، فإنه في الحقيقة يكون قد نزل قليلاً عن مستواه كأسقف إلى مستوى المعلِّم، حيث يُحتمل أن يكون تحت مراقبة غيره وحكم آخرين، خصوصاً إذا دخل في مجال التنبُّؤ.

ولكن بختام العصر الرسولي تقريباً، وبسبب قيام انحرافات وبدع إيمانية خطيرة بدأت تهدِّد الكنائس، مالت الكنيسة أكثر إلى ضرورة الجَمع بين موهبتي التعليم والتدبير «أما الشيوخ (القسوس) **المدبِّرون حسناً**، فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولاسيما الذين **يتعبون في الكلمة والتعليم**.» (١تي ٥: ١٧)

أما بعد انتهاء العصر الرسولي، فقد صار من المحتَّم على الأسقف أن يكون معلِّماً قبل كل شيء، بسبب دخول الكنيسة في حرب مع الهراطقة والمعلِّمين الكذبة، الذين لم يكُفُّوا أبداً حتى اليوم.

انتقال اختصاصات الرسل في الحِلِّ والربط، إلى الأسقف بوضع اليد:

لقد وهب الرب الرسل موهبة أخرى فوق كل المواهب وهي موهبة الحِلِّ والرَبط، التي هي مغفرة الخطايا وعدم مغفرتها.

وتُعتبر هذه الموهبة حابسة لكافة المواهب بسبب نفاذ مفعولها على مستوى سمائي، فالحِلُّ والرَبط أو الغفران وعدم الغفران الذي يجريه الرسول

على الأرض يصير نافذ المفعول في السماء، هذا السلطان الخطير أُعطي للكنيسة امتداداً سرّياً ودخولاً صميميّاً في الحياة الأخرى الأبدية. كما أمدَّ الرسل بقوَّة فائقة لرفع ثقل الخطايا وآثارها من ضمائر الشعب، كنعمةٍ وهِبَة عالية من هبات المسيح الفائقة الوصف. فابن الإنسان الذي له وحده السلطان أن يغفر الخطايا على الأرض، سلَّم الرسل هذا السلطان عينه، كامتداد لوجوده وبرهان على عمله الدائم في الكنيسة «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت ٢٨: ٢٠)

ولقد ظهرت قيمة هذا السلطان الذي للحِلّ والربط أكثر فأكثر في محيط التدبير الكنسي، حينما واجهت الكنيسة مواقف حرجة وصعبة، إزاء معلِّمين ومدبِّرين وأساقفة مبتدعين خارجين عن الإيمان الصحيح.

لذلك صار من الضروري، بل ومن المحتَّم أن يُسلَّم الرسلُ سلطانَ الحِل والرَبط للأساقفة بوضع اليد الرسولية، حتى يباشروا تدبير الكنيسة بنفس القوَّة والسلطان الرسولي المسلَّم من المسيح نفسه(١٣).

ومن أمثلة رؤساء الكنائس الذين نالوا هذا السلطان الرسولي بوضع اليد، برنابا وتيموثاوس وسلوانس وأندرونيكوس وسيلا ومرقس، وبقية الذين عيَّنهم الرسل أساقفة بوضع اليد، فصاروا واعتُبروا أساقفة رسوليين، الذين تسلسل منهم بقية الأساقفة من جيل إلى جيل.

ولكن لم تنتقل "موهبة الرسولية" نفسها إلى الأساقفة بوضع اليد، إنما

---

(١٣) [... فإن لك السلطان أن تدين الذين أخطأوا، لأنكم (أيها الأساقفة)، أنتم الذين قال لكم: «الذي تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، والذي تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السموات». احكم أيها الأسقف بسلطان **كمثل الله** - لكن الذين يتوبون اقبلهم إليك ...] (دسقولية ٣: ٥٢، ٥٣)

الذي انتقل إليهم هو اختصاصات الرسل وليس مواهبهم.

فـ"موهبة الرسولية"، كانت بحد ذاتها موهبة فريدة أعطاها المسيح لأفراد معيَّنين ولم تتكرَّر في الكنيسة، وقد كانت هذه الموهبة فريدة فعلاً لأنها جمَعت في ذاتها كافة المواهب. فالرسل كانوا أنبياء وبشيرين، ومُعلِّمين وأصحاب لغات، وذوي كلام حكمة وكلام علم، وأصحاب تمييز أرواح وحُكاماً ومُدبِّرين، وشهداء، وفوق ذلك كله تقدَّسوا برؤية الرب وسماع كلامه «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمتُكم به.» (يو ١٥: ٣)

هذه المواهب كلها توزَّعت بعد ذلك فصار من العسير أن تجد بعد الرسل أسقفاً يحمل أكثر من موهبة!

لذلك فوضع يد الرسولية، لم تنقل مواهب الرسل للأساقفة وإنما نقلت إليهم اختصاصاتهم والتزاماتهم فقط؛ وأهمَّها حفظ الإيمان، والتعليم الصحيح، وتدبير الرعية، وفصل كلمة الحق باستقامة، والفقر، والاستعداد للاستشهاد.

أما مواهب الرسولية وإلهاماتها، فظلَّت من اختصاص الروح القدس يمنحها لواحد بقدر، ولآخر بقدر آخر؛ كمسرَّة الله، واستعداد الشخص واستحقاقه.

كتب عن العنصرة وحلول الروح القدس

رسائل في عيدي الصعود والعنصرة

يوم الخمسين في التقليد الآبائي

مع الروح القدس في جهادنا اليومي

الروح القدس و عمله داخل النفس

العنصرة — الروح القدس في حياة الكنيسة

الباراكليت - الروح القدس في حياة الناس

الروح القدس في الاستشهاد والرهبنة

حلول الروح القدس

مقالات قصيرة عن الروح القدس

يوم الخمسين وميلاد الكنيسة

عمل الروح القدس في العذراء وفينا

الروح القدس الرب المحيي (مُجَّمع مجلد داخل علبة)

الروح القدس الرب المحيي (مُجَّمع مجلد)